

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تَنْمِيَةُ الصَّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَاهْبِ الصَّحَّةَ وَالْقُوَّى، رَافِعِ الْضُّرُّ وَالْبَلا، الْعَلِيمِ بِالنَّجْوَى، وَالسَّمِيعِ
لِلشَّكْوَى، أَحْمَدُهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى نِعَمِهِ التَّيْ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيْنَا لِنَشْقَى، بَلْ لِنَعْمَلَ بِهِ فَنَرَقَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، ذُو النَّفْسِ الْكَامِلَةِ السَّوِيَّةِ، وَالسَّيِّرَةِ النَّقِيَّةِ الْمَرْضِيَّةِ،
وَعَلَى اللّٰهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَمَّتْ نُفُوسُهُمْ، وَزَكَّتْ سَرَارُهُمْ، وَصَفَّتْ ضَمَائِرُهُمْ،
وَعَلَى كُلِّ مَنْ تَبَعَّهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللّٰهِ:

اتَّقُوا اللّٰهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ دِينَنَا الْحَنِيفٌ هُوَ دِينُ الْحَيَّةِ وَالْقُوَّةِ، وَالصَّحَّةِ
وَالْفُتُوْةِ، جَاءَ فِي تَوْجِيهِهِ الْحَكِيمَةُ، وَإِرْشَادَهِ الْقَوِيمَةُ مَا يَمُدُّ الْإِنْسَانَ بِاسْبَابِ
الصَّحَّةِ فِي نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ، وَبَدْنِهِ وَرُوحِهِ، حَتَّى تَكْتُمَ قُدْرَتُهُ عَلَى تَحْمُلِ أَعْبَاءِ
النَّكَالِيفِ الشَّرُّعِيَّةِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَعْنَى صَحَّةِ الْأَبْدَانِ خُلُوُّهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ
وَالْأَسْقَامِ، وَمَعْنَى صَحَّةِ الْعُقُولِ بِرَايَتِهِ مِنَ الْعَتَهِ وَالْجُنُونِ وَالْنُّقْصَانِ، وَأَمَّا صَحَّةُ
النُّفُوسِ فَهِيَ كَامِنَةٌ فِي سَلَامَتِهَا مِنَ الْحَسَدِ وَالْقَلْقِ وَالْوِسْوَاسِ وَالْأَحْزَانِ، وَتَتَعَمَّها
بِالرِّضَا وَالسَّكِينَةِ وَالْهُدُوءِ وَالْاطْمِئْنَانِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الصَّحَّةَ النَّفْسِيَّةَ لَا تَتَحَقَّقُ لَأَيِّ مِنَ إِلَّا حَالَ اسْتِشْعَارِهِ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللّٰهِ، وَأَنَّ نَفْسَهُ
مَلِكٌ لَهُ تَعَالَى، لَا يَتَصَرَّفُ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنِ مَالِكِهَا، وَفِيمَا يَسْمَحُ بِهِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ،
وَيُوَسِّعُ فِيهِ لِعِبَادِهِ، وَاسْتِحْضَارُ الْعُبُودِيَّةِ بِهَذَا الْمَعْنَى هُوَ مَعْنَى إِسْلَامِ الْوَاجْهَةِ اللّٰهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، وَبِسَبِبِهِ أَثْنَى الْمَوْلَى عَلَى الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَمَا قَالَ:

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْتَنِهِ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ أَصْنَلَحَيْنَ، إِذَا قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، وَمَوَاقِفُ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَدْلُّ عَلَى تَمَتعَهُ بِأَعْلَى مَا يُمْكِنُ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ صَحَّةٍ نَفْسِيَّةٍ كَامِلَةٍ، وَحَسْبُنَا مِنْ ذَلِكَ تَوْجُهُهُ بِالنَّصَائِحِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِأَبِيهِ، رَغْمَ إِصْرَارِ ذَلِكَ الْأَبِ عَلَى مَوَاقِفِهِ، وَدَعْمِ اسْتِجَابَتِهِ لِوَلَادِهِ، وَمَا كَانَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لِيُؤْثِرَ فِي نَفْسِيَّةِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ كُونِهِ صَغِيرَ السَّنِّ، وَمَا زَادَهُ إِلَّا شَدَّةَ عَزِيمَةِ وَقُوَّةِ مَضَاءِ، وَهَذَا كَانَ رَابِطَ الْجَاهْشِ لَمَّا عَرَضَهُ قَوْمُهُ عَلَى النَّارِ لِيُلْقُوْهُ فِيهَا، وَبِقِيَّ مُتَفَانِيَا فِي النَّصْحِ وَالْإِرْشَادِ، وَلَمْ يَكُنْ عَقَابُهُمْ مُؤْثِرًا أَيَّ خَلَّ أَوْ اضْطِرَابٍ فِي نَفْسِهِ يُلَازِمُهُ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ، وَهَذَا كَانَ أَيْضًا صَابِرًا عَلَى تَأْخِرِ الْإِنْجَابِ؛ مُكْثِرًا مِنْ دُعَائِهِ وَابْتِهَالِهِ؛ حَتَّى رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - .

عِبَادَ اللَّهِ:

مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوَاقِفِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَا تَنْتَعِمُ بِصَحَّةٍ نَفْسِيَّةٍ جَيِّدةٍ إِلَّا بِقُدرِ مَا وَقَرَ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا مِنْ إِيمَانٍ، فَإِلَيْمَانُ الْمُتَكَامِلِ تَتَعَكَّسُ آثَارُهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَتَبَدُّو مَظَاهِرُهُ فِي السُّلُوكِ وَالْتَّصَرُّفَاتِ، وَالْمَوَاقِفِ وَالاسْتِجَابَاتِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ ذَا إِيمَانَ ثَابِتٍ، وَيَقِينٌ قَوِيٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى يُوْفَقُهُ اللَّهُ فِي الصَّبَرِ عَلَى النَّوَازِلِ، وَشُكْرُ الْمُنْعَمِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى الْمَوَاهِبِ، وَيَدْلُلُهُ إِيمَانُهُ عَلَى الْمَخْرَجِ مِنَ الاضْطِرَابَاتِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ حُرْنٍ وَغَضَبٍ، وَبَطَرٍ وَكَبْرٍ، وَحَسَدٍ وَمَقْتٍ، وَغَيْبَةٍ وَبُهْتٍ، وَكَذْبٍ وَخِيَانَةٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمُونٍ﴾^(٢)، أَيْ خَيْرٌ مَقْطُوعٌ، فَبَيْنَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ الإِيمَانَ هُوَ الَّذِي مَنَعَهُمْ مِنَ التَّرَدُّدِ

(١) سورة البقرة / ١٣١-١٣٠ .

(٢) سورة التين / ٦-٤ .

أَسْفَلَ سَافِلِينَ، وَجَاءَ الْإِيمَانُ مُقَدَّمًا عَلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَكُلُّ الْأَمْرَيْنِ لَا بُدَّ مِنَ
الْجَمْعِ بَيْنِهِمَا لِمَنْ أَرَادَ صَحَّةً نَفْسِيَّةً كَامِلَةً يَتَعَمَّبُ بِهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ، وَمَنْ عَاقَتْهُ
الشَّيْخُوخَةُ عَنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ الَّتِي اعْتَادَ إِتْيَانَهَا وَهُوَ شَابٌ؛ فَالآيةُ تُبَشِّرُ بِجَرِيَانِ ثَوَابِهَا
لَهُ، مُثْلَمًا كَانَ يَأْتِيهَا وَهُوَ يَتَعَمَّبُ بِنَضَارَةِ الشَّبَابِ، وَقَدْ أَطْلَقَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ عَلَى أَفْعَالِ
الْخَيْرِ وَصُفْرَ "البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ" حِينَما قَالَ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْبَقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ أَذْلِيلَ
هُدَىٰ وَالْبَقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ دَوْرُ الْعِبَادَاتِ الدِّينِيَّةِ، وَالشَّعَائِرِ التَّعْبُدِيَّةِ مِنْ آثَارٍ وَاضْحَاءِ
الْمَعَالِمِ فِي تَنَمِيَةِ الصَّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ، حَيْثُ يَكْسِبُهَا كُلُّ مُحَافِظٍ عَلَى الصَّلَاةِ بِشُرُوطِهَا
وَأَرْكَانِهَا، مُنْتَرِمٌ لِسُنْنَاهَا وَآدَابِهَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٣)، وَكَانَ سَيِّدُنَا الْمُصْطَفَى ﷺ إِذَا حَرَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَيِّ
الصَّلَاةِ، وَقَدْ أَوْضَحَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ مَا لِلصَّلَاةِ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي صِفَاتِ الْإِنْسَانِ الْجِبِيلِيَّةِ
فَضْلًا عَنْ تِلْكَ الَّتِي تُكْتَسِبُ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوقًا ، إِذَا مَسَهُ الشَّرُّ جَرَوَعًا ، وَإِذَا
مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْوَعًا ، إِلَّا مُصَلِّيَنَ﴾^(٤)، ثُمَّ بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ لِلزَّكَاةِ مِثْلَ هَذَا التَّأْثِيرِ فِي النَّفْسِ،
عِنْدَمَا عَطَفَ عَلَى الْمُدَاوِمِينَ لِلصَّلَاةِ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلْسَّاعِدِ
وَالْمَحْرُومِ﴾^(٥)، وَعَلَّ سُبْحَانَهُ فَرَضِيَّةُ الصِّيَامِ بِنَيْلِ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ مِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِ

(١) سورة الكهف / ٤٦ .

(٢) سورة مرثیة / ٧٦ .

(٣) سورة العنكبوت / ٤٥ .

(٤) سورة المعارج / ٢٢-١٩ .

(٥) سورة المعارج / ٢٥-٢٤ .

الصّحة النفسيّة عندما قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنْبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ﴾^(١)، وهكذا بين عز وجل أن إقامة شعائر الحج إنما هي من تقوى القلوب، التي هي لباب الصّحة النفسيّة وقوامها عندما قال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَرَرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢)، إن هذه العبادات - أيها المسلمين - إنما يجد المسلم آثارها الطبيعية على نفسه متى ما أداها من غير تكالُف حال الأداء، وإنما يسعى إليها من شرح الصدر؛ فيؤديها بكل رضا وتسليماً، وإذا ما وقف بين يدي ربِّه مصلياً حرص على إتمام الخشوع والخضوع، لأنَّه ينادي في صلاتِه ملائكة الملوک، ومالك يوم الدين، الذي خلقه لعبادته، وأمره بطاعته، وأنعم عليه بصنوف النعم، ودفع عنه عظيم البلاء وجميع النقم، فليس تحضر كُلُّ واحدٍ منا جميع هذه المعاني، وليس تشعر دلائل صفات الله تعالى الدالة على عظمته وكباريائه وجلاله، وعظيم رحمته وإحسانه، وعلىه أن يستدعي إلى ذهنه تقصيره في حق هذا الخالق المنعم العظيم، المتصف بجميع صفات العظمة وسمات الكمال والجلال، ثم إن ركع أو سجَّد تصور رُكُوع وسجود كُلَّ عَظِيمٍ وعَصَبٍ ومفصِّلٍ في جسده، ومشاركة جميع أجزاء بدنِه في أداء جميع أركان الصلاة من قيام وقراءة وركوع وسجود وقعود، حتى يُستحضر أداء للصلاة بقلبه وقلبه، وظاهره وباطنه، وهذا ما يُفصح عنه ما ورد عن نبينا عليه السلام من أوراد يقولها في رُكُوعه وسجوده كقوله: ((سبحان ربِّي العظيم)) في رُكُوعه، و((سبحان ربِّي الأعلى)) في سجوده، وقوله: ((ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما تحب ربنا وتترضى)), ومن دعائِه في النوافل قوله عليه السلام: ((سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ))، وقوله: ((خشَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَعَظَمِي وَعَصَبِي وَشَعْرِي وَبَشَري))، وقوله: ((اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ملءَ

(١) سورة البقرة / ١٨٣ .

(٢) سورة الحج / ٣٢ .

السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِينَ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ).)

إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُقَوِّمَاتِ الصَّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَدَى كُلِّ فَرْدٍ تَمْمِيَةُ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِذْ لَا يُنْكِرُ مَا لِلْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِأَهْدَابِهَا مِنْ آثَارِ نَفْسِيَّةٍ بَيْنَهُ فِي سُلُوكِ كُلِّ فَرْدٍ وَتَعَامِلَاتِهِ، وَحَسِبْنَا أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ جَاءَتْ بِعْثَتُهُ لِتِتَمِيمِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ بِقَوْلِهِ: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»^(١)، وَكَانَ ﷺ إِذَا نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: ((اللَّهُمَّ كَمَا حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسَنْ خُلُقِي))، فِي إِشَارَةٍ وَاضْحَاءً إِلَى مَا لِلْأَخْلَاقِ مِنْ أَثْرٍ فِي الصَّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا طَهَارَةٌ بَاطِنِيَّةٌ، وَجَمَالٌ دَاخِلِيٌّ، يُقَابِلُهُ جَمَالُ الْخَلْقِ الْخَارِجِيُّ، وَيَبْنِيهُ ﷺ أَصْحَابَهُ لِقِيمَةِ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَّةِ وَأَثْرِهَا فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَمَا يُعْلَمُ بَعْضَهُمْ أَنَّ يَدْعُوَ بِقَوْلِهِ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانِي، وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُقِي، وَصَالِحًا يَتَبَعُهُ فَلَاحُ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَّةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى - عِبَادَ اللَّهِ -، وَالزَّمُوا طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى لِتَجِدُوا ثَوَابَهَا فِي تَعْمُكُ بِنِعْمَةِ الرَّاحَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى، «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمٍ»^(٢).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

(١) سورة القلم / ٤ .

(٢) سورة الشعرا / ٨٩-٨٨ .

الْحَمْدُ لِلّهِ مُحِبِّي النُّفُوسِ وَمُقْدَرِ الْأَجَالِ، وَمُصْلِحُ الْقُلُوبِ وَمُغَيِّرُ الْأَحْوَالِ، أَحْمَدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ حَالٍ أَهْلِ النَّارِ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُسَبِّحُ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ، وَأَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَ اللّهِ وَرَسُولَهُ السَّيِّدِ الْمُفْضَلِ، وَعَلَى اللّهِ وَصَاحِبِهِ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللّهِ:

هَلْ يَعِيشُ ذَا نَفْسِيَّةً سَلِيمَةً مَنْ لَا يُحَدِّدُ أَهْدَافَهُ؟ وَمَنْ لَا يُقْيِمُ أَعْمَالَهُ؟ وَمَنْ لَا يُرَاقِبُ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ؟ وَمَنْ لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى إِقْدَامِهِ وَإِحْجَامِهِ، وَأَخْذِهِ وَعَطَائِهِ، وَعَجْزِهِ وَنَشَاطِهِ؟ لَا رَيْبٌ أَنَّ صَاحِبَ النَّفْسِ السُّوَيْةِ، وَمَنْ يَتَمَكَّنُ بِصِحَّةِ نَفْسِيَّةٍ قَوِيَّةٍ هُوَ مَنْ يُخْطُطُ لِيَوْمِهِ وَغَدَرِهِ، وَيَسْعَى لِتَحْقيقِ أَهْدَافِهِ، وَإِنْجَازِ مَشَارِيعِهِ، وَيَطْمَحُ لِلْمَزِيدِ مِنَ الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ لِلرُّقْبَى بِنَفْسِهِ وَبِأَحْوَالِ الْمُجَتَمَعِ مِنْ حَوْلِهِ، سَاعِيًّا بِكُلِّ هَمَّةٍ وَنَشَاطٍ لِتَدْلِيلِ مَا يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ مِنْ مَصَاعِبَ وَعَوَائِقَ، مُخْتَسِبًا جَمِيعَ مَا يَلْقَاهُ فِي ذَلِكُمُ السَّبِيلِ، مُبْتَسِمًا أَمَامَ النَّوَازِلِ، مُتَفَائِلًا فِي حَيَاتِهِ مَهْمًا دَعَا الْحَالُ إِلَى النَّشَاؤِمِ، يَنْدَرَّعُ بِالصَّبَرِ الْجَمِيلِ، لَا يَسْتَوِي عَلَيْهِ الْجَزَعُ وَلَا الْهَلَعُ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ، يَشْتَغلُ بِشُكْرِ مَوْلَاهُ حَالَ تَرَادُفِ النِّعَمِ وَتَوَالِيهَا، فَلَا يُهْمِلُ حَقَّ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهَا، وَهَلْ كَنْفُسِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ ﷺ فِي الطُّمَانِيَّةِ وَالثَّبَاتِ مِنْ نَفْسٍ؟ لَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فِي عَامٍ وَاحِدٍ وَفَاءُ زَوْجِهِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا - وَعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى دُعِيَ ذَلِكَ الْعَامُ بِعَامِ الْحُزْنِ، فَهَلْ رَكِنَ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ؟ أَمْ هَلْ تَخَلَّى عَمَّا نُدِبِّ إِلَيْهِ مِنْ هَدَائِيَّةِ الْأَنَامِ؟ وَهَكَذَا كَانَ صَاحِبُهُ الصَّدِيقُ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - فِي سَكِينَةِ النَّفْسِ وَطُمَانِيَّتِهَا؛ فَلَمَّا تُوْفِيَ النَّبِيُّ ﷺ جَزَعَ النَّاسُ وَذَهَبَتْ أَحْلَامُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، فَوَقَفَ - رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ - يَعِظُ الْمُسْلِمِينَ وَيَذْكُرُهُمْ بِقَوْلِ اللّهِ تَعَالَى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدَّ

خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضْرَبَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَلْشَكِيرِينَ ﴿١﴾، فَنَاقَّهَا السَّامِعُونَ مِنْ فَمِهِ، وَأَخَذُوا يَتْلُونَهَا كَأَنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي ذَلِكُ الْحَينِ.

فَانْتَقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ -، وَأَصْلِحُوا نُفُوسَكُمْ، وَرَبُّوهَا عَلَى الطُّمَانِيَّةِ وَالرِّضَا وَالثَّباتِ؛ يُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ سَائِرَ أَحْوَالِكُمْ، وَيُثْبِتُكُمْ ثَوَابًا جَزِيلًا وَأَجْرًا حَسَنًا جَمِيلًا.

هَذَا وَصَلُوْا وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيهِما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَّأْيَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٢﴾.

اللَّهُمَّ صَلُّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ الْجَمِيعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعُلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعُلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقْرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلُّاً مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَائِشًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِنَّا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا

(١) سورة آل عمران / ١٤٤ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

طَيِّبًا وَاسْعَا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَاعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدُهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقَنَا مِنْ فِيضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمَنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.